النقد المغاربي : إشكاليات تلقي وصناعة المصطلح

د. عبد الله عايد عبيد الشرفات، جامعة جدارا
البلد: المملكة الأردنية الهاشمية

مقدمة:

تحتل إشكالية المصطلح موقعا بارزا في الدرس النقدي العربي الحديث، وتمثل هاجسا لدى عدد كبير من الباحثين والنقاد، نظرا لأهمية المصطلح ودوره في عمليتي التواصل وخلق المعرفة ونشرها، فـ"لا مشاحة في أن المصطلح يمارس دورا فاعلا في مسألة تكوين المعرفة بما هي حمولة دلالية وثقافية ..، كما أنه لغة التواصل بين المتخصصين في أي علم من العلوم، وبما أن النقد الأدبي أحد هذه العلوم.... فبدون مصطلح نقدي واضح ودقيق لا يمكن إقامة نقد جاد وفاعل"(1).

لقد أفضى تلقف النقاد العرب للمقولات غربية المنشأ والاهتمام العربي بالنظريات النقدية الغربية، إلى الاهتمام بقضايا المصطلح، كونها فصلا من فصول التجربة النقدية العربية في سياق ارتباطها بالمد الحداثي لمختلف المناهج الغربية الحداثية، تمكنت من فرض ذاتها بقوة وإلحاح على خارطة الثقافة والفكر، فتدفق المئات من المصطلحات الوافدة من المعارف المختلفة إلى المعجم العربي خلق فوضى واضطراب كبيرين عند كل من الناقد

(1) طالب، سعاد، الاضطراب المصطلحي في حقل النقد الأدبي العربي الحديث: بحث في المظاهر والأسباب والحلول مجلة الآداب واللغات ،العدد 5 ديسمبر2016م، ص 43

والمتلقي، وأضحت إشكالية المصطلح النقدي إشكالية ماثلة في خطابات الناقد العربي[1]، فعلى الرغم ما تتسم به الدراسات النقدية من جديّة وريادة إلا أنها باتت تزدحم بكم هائل من المصطلحات النقدية، خلقت ثورة في عالم المصطلح النقدي، ونجم عنها رفع شعار "إشكاليات المصطلح النقدي(2).

وإذن، شغلت قضية المصطلح النقدي، وما زالت، أذهان رواد النقد الأدبي من نقاد ومفكرين وباحثين، وجعلتهم في مواجهة ما أسموه أزمة المصلح النقدي، خاصة في ظلّ التعددية المنهجية النقدية في مقاربة نصوص الأدب والانفتاح غير الواعي على أفكار ومناهج الغرب ومصطلحاته المعاصرة، والانجذاب إلى جديد الغرب والانبهار به والتنكّر للتراث العربي، ما جعلنا حاضنة لما يردنا من الغرب ترجمة أو تعريبا، في مرحلة انتقالية حتمت علينا ذلك وولّدت لنا أزمات متتابعة، مع ثورة المناهج النقدية المعاصرة، وثورة المعلومات في العقد الأخير من القرن العشرين، وكمّ المصطلحات النقدية الأجنبية الهائل، ونقلها دونما تنسيق ودراسة لإيجاد المصطلح المكافئ المعبّر حق التعبير عن المصطلح المنقول، وهو ما خلق، في نهاية المطاف، الفوضى المصطلحية التي نعايشها الآن، ما يدفع بجديّة لتجاوز آثار هذه الفوضى واجتراح الحلول لها[3].

وفي ظل هذا الاهتمام العربي بقضية المصطلح، يأتي هذا البحث هادفا إلى الكشف عن مشكلة المصطلح النقدي في النقد المغاربي، الأمر الذي يُحيلنا إلى مشكلة الدراسة، وهي الوقوف على إشكاليات المصطلح في النقد المغاربي، من خلال السعي إلى الإبانة عن مظاهر

(1) انظر: عبد الرزاق، د. حاجي إشكالية ترجمة المصطلح النّقدي العربّي: كتاب الترجمة والمصطلح ل " السعيد بو طاجين" أنموذجا، مجلة "نتائج الفكر" ، المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة، المجلد 50 . العدد2 ، رقم العدد التسلسلي 8،السنة 2021، ص 75.

(2) انظر: الحراحشة، منتهى، من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 6 العدد 2 ، 2009 ، ص202

(3) توام، د. عبد الله، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بو نعامة خميس مليانة، العدد : 01 الشهر02،السنة2020 ،ص 13.

هذه الإشكاليات وأسبابها، وبيان آليات صناعة المصطلح التي اعتمدها النقاد المغاربة في الخطاب المغاربي، وكذا الحلول التي اقترحوها لسدّ الخلل في هذا الباب.

قد يطرح أحدهم السؤال التالي: لماذا تمّت دراسة إشكالية المصطلح في النقد المغاربي على وجه الخصوص؟ وهل تختلف مظاهر هذه الإشكالية وتجلياتها في هذا النقد عما هي عليه في النقد العربي ككل؟ والإجابة على هذا السؤال تكمن في تلك الخصوصية التي ينفرد فيها النقد المغاربي، وهي خصوصية "لا ترتبط فقط بظروف النشأة والتبلور والاختمار، وإنما تعبّر عن واقع بنيوي"، فإذا ما كان المغرب العربي قريبا من الشرق بفضل اللغة والتاريخ، فإنه قريب من الغرب بسبب الجوار والهيمنة[1]،وهذا مما ساهم في اتصاله المبكر مع الثقافة الغربية والتأثر بما صدر عنها من تيارات ومناهج حداثية، ثمّ هناك- وهو الأمر الأهم-تميّز النشاط النقدي المغاربي حتى بات يمثل علامة بارزة داخل النقد العربي الحديث، إذ يكتسب الحراك النقدي المغاربي موقع حجر الزاوية في الساحة الثقافية العربية، كما يرى الناقد المغربي الدكتور سعيد يقطين، فالمشهد النقدي في المغرب يكتسي أهمية خاصة ضمن النسيج العام للمنتج النقدي العربي، وهو يؤكد الموقع المتقدم الذي يحتله النقد المغربي المعاصر في خريطة الأدب العربي الحديث، وهو مما لا يستدعي الجدال فيه، فالكل، بحسب يقطين، بما فيهم المشارقة يقرون بهذا التميز، إنْ على مستوى النقد الأدبي أو الترجمة أيضا، لما يتسم به هذان الحقلان من جدية وخصوبة وتجديد[2].

وينطلق البحث من الفرضيات التالية: إن إشكالية المصطلح في النقد المغاربي هي إشكالية ملازمة للنقد المغاربي المعاصر، وأن هذه الإشكالية تولدّت على إثر انفتاح هذا النقد على تيارات ومناهج وفلسفات وثقافات الغرب، ومن ثم استيرادها وإسقاطها على

---

[1] الخطيب، إبراهيم، رأيه المُضمّن في مقال أسرة تحرير صحيفة الخليج، المعنون بـ "الامتياز النقدي والفكري في المغرب: كرسته الجامعة والانفتاح على المدرسة الفرنسية، حول صدارة النقد المغربي في الحقل النقدي العربي، صحيفة الخليج الإماراتية، الملحق الثقافي، 23يناير 2009،الموقع الالكتروني، الرابط:https://www.alkhaleej.ae

[2] انظر: يقطين، سعيد، رأيه المُضمّن في مقال أسرة تحرير صحيفة الخليج، المعنون بـ "الامتياز النقدي والفكري في المغرب: كرسته الجامعة والانفتاح على المدرسة الفرنسية"،حول صدارة النقد المغربي في الحقل النقدي العربي، صحيفة الخليج الإماراتية، الملحق الثقافي، 23يناير 2009،الموقع الالكتروني، الرابط:https://www.alkhaleej.ae

البيئة العربية المغاربية المختلفة عن البيئة الغربية، كما ينطلق البحث من فرضية أن النقد المغاربي يعاني من إشكالات المصطلح نفسها التي يعانيها النقد العربي عموما، باعتباره صورة عن هذا الأخير، لا يتضاد معه ولا ينفصل عنه إلا في إطار تلك الخصوصية التي أشرنا إليها ويحكمها قرب المغرب العربي من دول الغرب، وظروف التجربة النقدية المغاربية، والمرجعية الثقافية لبلدانها،وكذلك ينطلق من فرضية أنه على الرغم من كثرة الدراسات النقدية العربية والمغاربية على وجه الخصوص، التي تناولت إشكالية المصطلح وتنشط في سبيل معالجتها، إلا أنه لا يبدو أن هناك حلولا ناجعة ونهائية تلوح في الأفق، وهذا يعود لطبيعة الدراسات النقدية الإنسانية، التي لا يمكن، في حال من الأحوال، إخضاعها لشروط العلوم الرياضية والطبيعية المنضبطة.، ولكن يمكن الحدّ منها والتخفيف من آثارها.

والمنهج الذي يتكئ عليه البحث هو المنهج الوصفي بالتزامن مع المنهج التاريخي، فيتكئ البحث على المنهج الوصفي لتوصيف ظاهرة إشكالية المصطلح النقدي المغاربي، كما يتكئ على المنهج التاريخي في تتبع تاريخ الإشكالية الاصطلاحية في النقد المغاربي وتطورها منذ نشأتها.

ماهيّة المصطلح النقدي وأهميته:

لن يقف البحث عند المعنى اللغوي للمصطلح، فما يعنينا، في هذا المقام، ماهيّة المصطلح النقدي، وأهميته داخل الدرس النقدي، باعتباره أداته الفاعلة وشفرته التي تجمع شتاته وتحدد مفاهيمه، عدا أنه قد وقفت على الجانب اللغوي العديد من الدراسات التي تمحورت حول قضية المصطلح في النقد العربي.

المصطلح النقدي، وفق يوسف وغليسي: "رمز لغوي، أحادي الدلالة، منزاح نسبيا عن دلالته المعجمية الأولى، يعبّر عن مفهوم نقدي محدد وواضح، متفق عليه بين أهل هذا الحق المعرفي"، وهو، على حدّ قول القدامى، (لغة العلم أو مفتاح العلوم)، من أهم وظائفه الوظيفة التواصلية وتبليغ المعارف[1]. هو لغة خاصة جدا داخل لغة المتن، لا يقبل التأويل

(1) طالب، سعاد، الاضطراب المصطلحي في حقل النقد الأدبي العربي الحديث: بحث في المظاهر والأسباب والحلول، مرجع سابق، ص 43

في حين تنساق لغة المتن فقط في فلك ما يخصصه هذا المصطلح من معرفة، يحدده حيز المفهوم وتعبر هي عن فضاء الفهم، وانطلاقا من هذه الصرامة التي يفرضها على كل الأشكال المعرفية، تولّدت عقدة المصطلح في ثقافتنا العربية[1].

إن الوزن المعرفي في كل علم رهين مصطلحاته، لذلك نسميها أدواته الفعالة لأنها هي من تولده عضوياً وتنشئ صروحه، ثم تصبح خلاياه الجنينة التي تكفل تكاثره ونماءه. وذلك ما يفسّر اصطناع كل علم معجمه اللغوي الخاص، فلو تتبعنا كشفه المصطلحي وقارناه بالرصيد القاموسي المشترك في اللغة التي يتحاور بها هذا العلم لوجدنا حظاً وفيراً من ألفاظ العلم غير وارد في الرصيد المتداول لدى أهل ذلك اللسان، وما يرد منه ينفصل في الدلالة انفصالاً لا يبقى معه إلا التواتر في الشكل الأدائي عمّا هو شائع. هذه الحقيقة تصدق على كل المعارف البشرية التي تبلورت فشيّدت حصنها المستقل[2].

ومن هنا، يصبح المصطلح وسيلة للتواصل العلمي بين المتخصصين في مجال معرفي موحد، يتم عبره تداول المفاهيم، و تحرّك به الرؤى والأفكار قصد تطوير المعرفة في هذا الحقل المعرفي الخاص. ولكون اللغة المصطلحية لغة خاصة، تتميز بالعلمية والدقة، من شأنها أن تنقل المفاهيم بشكل دقيق، فإن هذا من شأنه أن يُفضي إلى تأكيد أن اللغة المصطلحية تأتي ترجمة عن تطور الفكر الإنساني، من ناحية ميله إلى الموضوعية، الأمر الذي يقودنا إلى الاتفاق على جملة دوال ومدلولات مصطلحية، يتم إنتاجها في سياقات البحث المعرفي، والمساءلة الفكرية العقلية[3].

نتبين الأهمية التي يظطلع بها المصلح النقدي، بل المصطلح عموما، ما يستوجب من الباحثين الالتفات إليه، وبحث إشكالياته، وخصه بالعناية الكافية

(1) ختالة، عبد الحميد، تأصيل المصطلح النقدي بين الترجمة والتعريب والبحث في الجذر الفلسفي، مجلة مقاليد، العدد(2)،ديسمبر، 2011م، ص 122.

(2) انظر: المسدي، د. عبد السلام، مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب، صحيفة الرياض، الخميس7 إبريل 2005م - العدد 13436، الرابط: https://www.alriyadh.com/54342

(3) انظر: رقيق، سعاد، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر رؤى وتحولات، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس- سيدي بلعباس، الجزائر، 2015/ 2016م، ص 47، 48.

نشأة أزمة المصطلح في النقد المغاربي وأسبابها:

هناك أزمة مصطلح يشهدها النقد المغاربي، كما هو النقد العربي، يشير إليها النقاد والباحثين المغاربة ويستشعرون آثارها، ومن هؤلاء رشيد بن مالك، الذي يمهّد لمعجمه(قاموس مصطلحات التحليل السيميائي) مؤكدا أزمة المصطلح الناجمة عن فعل الترجمة بالقول أنه وضع معجمه لأنه لاحظ: "فوضى في ترجمة النصوص"[1]، ويستشعر سعيد علوش هذا الخلل في معجمه، فيقول: "أن تدخل المصطلحات الأدبية، في متاهات التحويلات اللامتناهية..، التي لا يدعمها منطق أساسي ومعرفي معين، فهذا مما يفتح الباب لخلل غير طبيعي"[2]، وهناك غيرهم من النقاد من أمثال يوسف وغليسي والسعيد بوطاجين، وعبد السلام المسدّي،..إلخ، الذين سيرد حديثهم في هذا الباب في معرض تناولنا لأسباب الأزمة ومظاهرها وآليات صياغة المصطلح والحلول المقدمة، لكن هذه الأزمة لم تكن مرافقة للنقد المغاربي الحديث في إرهاصاته الأولى في العشرينات من القرن العشرين، وحتى السبعينيات من القرن نفسه، فالمتتبع لمسار هذا النقد يلحظ أن هذه الأزمة قد برزت بعدما تعالق مع مناهج النقد الغربية وأسقطها في بوتقته.

لم يعن النقد المغاربي بالمصطلح النقدي قبل السبعينات، فقد كان النقد المغاربي مشغولا قضايا أخرى، قبل أن تتبلور علاقته بالمناهج النقدية الغربية. لقد "ظهرت مشكلة التعامل مع المصطلح النقدي بصورة قوية أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات، بالتحديد بعد أن أفرزت الاتجاهات النقدية الحديثة الناتجة عن الانفجار اللساني والسيميائي منظومة اصطلاحية تتمحور تحت أبواب:

---

[1] بن مالك، رشيد (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي)، دار الحكمة، 2000م، ص 11.

[2] علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، 1985، ص7.

الشعرية poétique،السرديات narratologie،البنية Structure، والتفكيك Déconstruction،..فكان من الطبيعي أن ينهل الناقد العربي من هذه المنابع النقدية"[1].

فتعد مرحلة السبعينات من القرن العشرين مرحلة حاسمة في تشكل الخطاب النقدي المغاربي المعاصر حسب تحديد النقاد، وهي الفترة التي حظي بها المصطلح في النقد الأدبي المغاربي المعاصر بعناية حقيقية، إذ استخدم فيها إدريس الناقوري المصطلح لأول مرة في النقد الأدبي في المغرب، في كتابه"المصطلح المشترك في نقد الشعر"، عام 1977م، وفيه ربط الناقوري مفاهيم المصطلح النقدي وحدوده بالمناهج النقدية الحديثة، وبخاصة البنيوية التكوينية،.. وفي العام نفسه ألف التونسي حمادي صمود معجمه "معجم مصطلحات النقد الحديث"، ثم سعيد علوش "المصطلحات الأدبية المعاصرة: عرض وتقديم وترجمة" 1984م،و(قاموس اللسانيات) للباحث والأكاديمي التونسي عبد السلام المسدي، والذي صدر في العام نفسه، باللغتين العربية والفرنسية، وشمل "مقدمة في علم المصطلح"، وعُدّ نقلة كبيرة في التأليف المعجمي، لأنه متخصص ومواكب للمناهج النقدية، فيه يشير إلى أصالة علم المصطلح، والمصطلح اللساني على وجه الخصوص(2).

وكحال النقد المغربي والتونسي اهتم النقد الأدبي الجزائري بالمنهجية الحديثة كذلك، خاصة الحقل السيميولوجي، وكذا الحقل السردي في الثمانينيات، وأنيطت مصطلحات السيميائية بالعلامة في التراث النقدي عند العديد من النقاد المغاربة من أمثال: عبد الملك مرتاض، وعبد الحميد بورايو، ورشيد بن مالك، حيث سعى عبد الملك مرتاض إلى تعزيز المصطلح النقدي في المناهج الحديثة مازجاً مزجا موفقا جدا بين القديم والحديث، واهتم السعيد بوطاجين بعد هؤلاء اهتماما متميزا بالمصطلح وعلاقته بتراث العرب النقدي واللغوي، مع التركيز على الاستعمال النقدي للمصطلح في تراثنا العربي الأسلوبي والبلاغي،

(1) أوصيف، سهام، تأصيل المصطلح السيميائي في النقد المغاربي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر، 2017/ 2018 م، ص أ

(2) رقيق، سعاد، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر رؤى و تحولات، مرجع سابق. ص21، 22، 27، 29.

إلا أن المهيمن على جهود هؤلاء النقاد في وضعهم المصطلح -و هي جهود لا ينكرها إلا غافل أو جاحد ،- افتقادها لعقد الصلة بين المصطلح وتراثنا النقدي العربي [1].

وإذن، أفضى الاهتمام المغاربي العربي بالنظريات الغربية وتلقف النقاد للمقولات الغربية المنشأ، إلى الاهتمام بقضية المصطلح، كونها فصلا من فصول التجربة النقدية العربية المرتبطة بالمد الحداثي لمختلف المناهج الحداثية، فإشكالية المصطلح باتت حالة أساسية من حالات الثقافة الأدبية العربية المعاصرة واستطاعت أن تفرض ذاتها بقوة وإلحاح على الخريطة الثقافية والفكرية، فتدفق إلى المعجم العربي المئات من المصطلحات الوافدة من المعارف المختلفة الأمر الذي خلق الكثير من الفوضى والاضطراب عند الناقد والمتلقي، وأضحت إشكالية المصطلح النقدي ماثلة في خطابات الناقد العربي"[2]، المغاربي، هنا.

بداية هذه الإشكالية في الخطاب النقدي المغاربي، ناجمة عن التعثر الذي اتسم به هذا الخطاب، في بادئ الأمر، ومرده إساءة فهم واستقبال النظريات الغربية والتشتت جراء الانتقال بين مناهج نقدية عدة، دون التعرف على خلفياتها الفلسفية والمعرفية، والانسياق وراء المنجز النقدي الغربي، عدا ما اعترى الترجمة من قصور وسوء استخدام، فالترجمة يحكمها الهوى الشخصي للمترجم دون استيعاب لما بين الثقافتين المنقول منها والمنقول إليها من اختلاف[3].كذلك عدم استيعاب بعض ممن يتولون نقل المصطلح الأصول الحقيقية لبعض المصطلحات السائدة في الساحة النقدية ومفاهيمها وحمولاتها المعرفية في منبتها الأول واختلافهم في طرق تحصيلها[4].

(1) ختالة، عبد الحميد، تأصيل المصطلح النقدي بين الترجمة و التعريب و البحث في الجذر الفلسفي، مرجع سابق، ص 118

(2) عبد الرزاق، حاجي إشكالية ترجمة المصطلح النّقدي العربّي: كتاب الترجمة والمصطلح ل " السعيد بوطاجين" أنموذجا، مرجع سابق، ص 75.

(3) انظر: رقيق، سعاد، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر رؤى و تحولات، المرجع السابق. ص ب، 20

(4) توام، عبد الله، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مرجع سابق، ص 24، 25.

وإذن، هناك العديد من الأسباب التي تقف وراء أزمة المصطلح في النقد المغاربي، والتي لا يمكن تناولها بمعزل عن أزمة النقد العربي ككل، ولكن يمكننا تناولها من وجهة نظر النقاد والباحثين المغاربة، منها ما ورد على لسان الدكتورة آمنة بلعلي، في لقاء معها حول إشكالية المصطلح النقدي، وتشير فيه إلى أن أسباب مشكل المصطلح متعددة مرتبطة بعدم التواصل بين المترجمين، وبالخلفية المعرفية لهم، وبالوسيط الذي نترجم عنه، فمن يترجم عن الانجليزية كأهل المشرق ليس كمن يترجم عن الفرنسية وهم المغاربة، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل هناك مشكلة داخل البيئة المغاربية الواحدة، بدءا من المفاهيم المفاتيح للمناهج الكبرى نجد (البنيوية) في الجزائر وكذلك(البنوية) التي يؤكدها رائد اللسانيات في الجزائر الحاج صالح، وهناك أسباب أخرى نفسية تتصل بعلاقة الإنسان باللغة، فالإحساس باللغة يختلف من إنسان لآخر، وهناك عدة اعتبارات تدخل في هذه الإشكالية، إضافة إلى عدم غياب المؤسسة التي تقوم بعملية الترجمة أو على الأقل توجيه المترجمين. تقول: نفتقد اليوم مثل هذه المؤسسات العلمية التي تقنن ترجمة المصطلحات، كما تفعل الأكاديميات اللغوية في الغرب، كما أن مخابر اللغة في الجامعات لا تقوم بدورها، عدا أننا غير منفتحين على العالم وإن ادعينا أننا كذلك، وهذا مما يعقد المشكلة، نحن فقط منفتحين على ثقافة المستعمر الانجليزي والفرنسي لطبيعة العلاقة التي تربطنا بها ، وتتساءل: لماذا لا ننفتح على الثقافات الأخرى(الألمانية أو الصينية أو أمريكا اللاتينية)؟، وترى أن من بين الإشكاليات الانتصار للمنهج المستورد أكثر من صاحبه والدخول في عداء مع المناهج الأخرى، وهناك السعي للتمركز فبعد أن كانت مصر هي المهيمنة أصبحت الهيمنة للمغرب الكبير والمغرب خاصة لاعتبارات كثيرة، عدا تضخم الأنا عند المترجمين، فنجد منهم من يحاول أن ينقض أحد المصطلحات التي تلقى رواجا بمصطلح جديد فيربك المشهد[1].

(1) انظر: بلعلي، آمنة، في لقاء معها حول " إشكالية المصطلح النقدي " على اليوتيوب، ضمن فعاليات صالون عبد الناصر هلال الثقافي، 2020م، الرابط:https://www.youtube.com/watch?v=8jodKCoorz8

المشكلة أبستمولوجية معقدة تتجاوز كونها لغوية معرفية إلى كونها مشكلة مركبة مرتبطة بهذه التبعية التي نعيشها مع الغرب وعدم القدرة على مواكبة الزخم المنهجي والثورة العلمية في الغرب، على الأقل التحكم بالمصطلحات وإيجاد المقابل لها. أزمة المصطلح جزء من أزمة النقد مرتبطة بالمنهج، فإذا كان هناك إشكال في المنهج وفي طريقة تمثله وتحصيله سوف يحث بالضرورة إشكال على مستوى المفاهيم وعلى مستوى النقل ، كثير من هذه المناهج لا تستجيب لواقعنا ولا تلبي حاجاتنا المعرفية والثقافية، الأمر مرتبط بنوع من الغرور الذي نعيشه، نستورد هذه المناهج دون أن ندري هل هذه المناهج تؤدي وظيفتها الناجعة في علاقتها بنا وبمجتمعنا وثقافتنا أم أنها تُحدث فوضى. الحديث اليوم عما بعد الحداثة والمجتمعات العربية لم تعش أصلا الحداثة[1].

يقف يوسف وغليسي على جملة أسباب لأزمة المصطلح منها تداخل الحقول المصطلحية في الخطاب النقدي العربي تتداخل تداخلا مريعا ما يجعل من الصعب تصنيف كثير من المصطلحات ضمن حقول منهجية معينة، بالإضافة إلى الإسهال الحاد في تلقي المفاهيم الغربية، بكيفيات مشتتة فردية، تفتقد الانسجام والتنسيق وتجهل الجهود الفردية الأخرى، وتنتصر للأنا الفردية أو القبيلة اللغوية، فيتعصّب المغربي مثلا للدليل والدلائلية في حين يتعصّب التونسي للهيكليّة والإنشائية، بل "كثيرا ما يتحول التمسك الشخصي بمصطلح مقترح على علاته البيّنة أحيانا إلى ما يشبه الإصرار على الحنث الاصطلاحي العظيم! وليس أدل على ذلك من (معجم الدلائلية) الذي يتعصب لمقترحات اصطلاحية شخصية غريبة ونادرة الخط التداولي"، ناهيك عن كثرة البدائل الاصطلاحية التي المصطلح قوته الاصطلاحية، وإساءة فهم كثير من المصطلحات المهاجرة جهلا بمفاهيمها أو تجاهلا من العارف بها بقصد صياغتها صياغة جديدة موازية فيها الكثير من

(1) انظر: بلعلي، آمنة، في لقاء معها حول " إشكالية المصطلح النقدي "

التصحيف والتحريف والاجتهاد الشخصي التركيبي، وينسحب ذلك على مفهوم (الدورة التوزيعية) عند عبد الملك مرتاض[1].

ويرى بو شعيب الساوري من الأسباب الكامنة وراء أزمة المصطلح في النقد المغربي، عدم مراعاة الحمولة الدلالية والمفهومية والمعرفية للمفاهيم، ويرى في ذلك السبب الرئيس للأزمة،فالمفاهيم تتحول وتنتقل من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر مما يؤدي إلى اختلافها الدلالي وتتعدد دلالتها نظرا لكونها تتمتع بتاريخ خاص بها، وهناك عدم مراعاة تطور اللغة وتغير دلالته في ارتباطها بالمتغيرات التي يعرفها الفرد والتاريخ، ومشكلة الاتصال بلغات المصطلحات، وخاصة إذا كان الاتصال عن طريق غير مباشر بأخذه عن لغة أخرى، وهناك التسرع في السبق إلى نقل النظريات الغربية مع تغييب سياقها الأبستمولوجي، ووضع المصطلح وفق مجهودات فردية يغيب عنها التنسيق والإجماع، واختلاف المشتغلين بالمجال الاصطلاحي ما بين متخصصين لديهم الوعي النسبي بملابسات تشكل المصطلح وخلفياته الأبستمولوجية، والمترجمين[2].

ما سبق غيض من فيض ما وقف عنده عدد من النقاد والباحثين المغاربة حول نشأة أزمة المصطلح المغاربي وأسبابه، فالنقد المغاربي الذي استوى عوده وأخضّرت أوراقه، ونما نموا متسارعا ومكثفا، ترك أثره موقعا متقدما في فضاء النقد العربي، وبحكم اتصاله المبكر بالفكر الغربي ومناهجه الحداثية، شغلته أزمة المصطلح ومسبباتها ، فانبرى العديد من رواده للحديث عن هذا الأمر وقدموا فيه جهودا طيبة أكبر من أن يتم حصرها في هذه المساحة الضيقة للتناول.

(1) وغليسي، يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008م،ص509، 510.

(2) انظر: الساوري، بو شعيب، إشكالية الانتقال من المفهوم إلى المصطلح، مجلة مقاليد، العدد الثاني، ديسمبر، 2011م، ص35.

مظاهر إشكالية المنظومة الاصطلاحية في النقد المغاربي:

يعاني النقد المغاربي إشكالية ضبط المصطلح النقدي التي يعانيها النقد العربي عموما، ما يعكس امتزاجه بإطار النقد العربي الحديث واشتراكه معه في قضاياه وإشكالياته، على الرغم من تلك الخصوصية المتحققة له من تقارب موقعه من العالم الغربي، ومن خصوصيته الثقافية، فالخلاف على المصطلح، كما تشير د. آمنة بلعلي، هو خاص بالنقد العربي وتحديدا بالفترة المعاصرة، بعد توارد ركام المناهج الحداثية وما بعدها إلى الأدب العربي، لا يمثّل إشكالا في بيئته الأصلية الغربية[1]، ساهم في تجليه "أسباب داخلية ذاتية مرتبطة باللغة وشروط البحث في المنطقة العربية والخلل في الوعيين المفهومي والمنهجي، وأخرى خارجية مرتبطة بانفتاح الدرس النقدي العربي على نظيره الغربي، مما أدى إلى استيراده لإشكالات أخرى مرتبطة بالترجمة والتفاعل بين الثقافات"[2].

وكما شهدت التجربة النقدية العربية نضجا منهجيا كشف عن وعي اصطلاحي ملموس، تحقق التراكم الإجرائي الكميّ، والتي عكسته الأبحاث المنجزة في مضمار النقد الاصطلاحي، كذلك عرف الوعي النقدي للبيئة المغاربية المعاصرة تباينا في الإدراكات والتّوجهات إن على صعيد تبني أو رفض المعطى الإيديولوجي النقدي، وذلك قبل مرحلة ولادة المصطلح، أو على صعيد النتاج المفاهيمي بعد مرحلة تقديمه، وخلف العديد من آفات المصطلح، التي أسهمت بصورة كبيرة في نقل واقع الاصطلاح من مضمار البيان عن النّظم الدلالية التي تقدم الوصف العلمي لظاهرة محددة إلى مضمار إشكالي عنوانه غياب الدقة والاتزان العلمي، ويحفّه الغموض والضبابية، ومن ثم غياب لغة مشتركة بين الناقد والقارئ[3]. وإذا ما أردنا أن نقف على تمظهرات هذه الإشكالية في هذا النقد، فأننا نرصد منها الآتي :

(1) بلعلي آمنة، إشكالية المصطلح النقدي" مرجع سابق

(2)الساوري، بو شعيب، إشكالية الانتقال من المفهوم إلى المصطلح، مرجع سابق، ص 16، 17.

(3) انظر: أوصيف، سهام، تأصيل المصطلح السيميائي في النقد المغاربي، مرجع سابق، ص أ

- **تضارب المصطلح المغاربي مع المصطلح المشرقي:**

أثرّ انقسام دول العالم العربي إلى مشرق عربي ومغرب عربي على حدوث انقسام على المستوى الترجمي بفعل اتجاه كل من دول المشرق والمغرب إلى ترجمة ما تنتجه الدولة الغربية التي تتبعها هذه الدول العربية، ففي حين تتجه دول المشرق العربي إلى ترجمة ما تنتجه الدول الأنجلوسكسونية، تميل دول المغرب العربي إلى الاهتمام بالمنتج الفرانكفوني، وهذا راجع للعامل التاريخي السياسي الاستعماري تاريخية سياسية استعمارية، ما خلق تباينا واختلافا في الرصيد المعرفي والثقافي المترجم إلى العربية بين هذين الاتجاهين[1]، وبالتالي ترك أثره على المنظومة الاصطلاحية إشكالا وتعقيدا، "فهذه المصطلحات النقدية، نقلت عن لغات متعددة، مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ولكل لغة سماتها وخصائصها ومفرداتها، واختيارها للفظة المناسبة للمصطلح"[2].

يشير عبد السلام المسدّي بأن قضية اختلاف المصطلحات بين أقطار الوطن العربي عامة، وبين مشرقه ومغربه تخصيصاً، ما انفكت تطرح من وجهات نظر عديدة، يقع تشخيصها من الوجهة اللغوية ومجال ذلك علم المصطلح - أو «المصطلحية» - ثم يقع تناولها من منظور كيفيات معالجتها، وهنا يتم التطرق إلى المؤسسات الموكل إليها مهمة التوحيد العربي، ويرى أن هذا الاختلاف منسوب إلى التنوع، وأنه يتأسس على خصائص المنظومة الثقافية هنا أو هناك في الوطن العربي.. ففي حين نرى أهل المشرق - على وجه التعميم المنهجي لا على وجه اليقين الإحصائي - أكثر ميلاً إلى الحفاظ على جماليات اللغة حتى في وضع الألفاظ الدالة على الحقائق العلمية، فهم يتمسكون - فطرياً - بما انساب من الكلمات وساغ، لذلك تراهم أحرص على إحياء ألفاظ التراث وابتعاثها للدلالات المستحدثة، وتراهم ينفرون من كل مصطلح يشينه النشاز.. نرى أبناء الجناح المغاربي - في نسبتهم العامة –على

---

[1] بن عمار سعيدة خيرة، إشكالية الترجمة في علوم الإعلام و الاتصال بين المشارقة و المغاربة، مجلة الإشعاع، العدد3، جوان،2015م، ص 112.

[2] الحراحشة، منتهى، من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، مرجع سابق، ص 224

خلاف ذلك، كأنهم من أنصار الاستعمال أكثر مما هم متعلقون بالمعيار، وفيهم جمع غفير يتخطون عتبة الجمال في صياغة المصطلحات حتى لكأنك حائر أعن وعي يفعل بعضهم ذلك أم هو غافل عن أسرار الأداء اللغوي؟ ولكن هذه الجرأة كثيراً ما تحقق وظيفة هامة في التداول هي الاستجابة السريعة لحاجات الاستعمال بما يسد الثغرة الإصلاحية بشكل عملي ناجز، فصيغة فاعول في اللغة العربية - كصيغة مفعال - ليست على قدر تواتر صيغ أخرى تأتي للمبالغة كفعّال وفعيل.. وعندما استدعى الفكر العربي الحديث من الثقافة الأجنبية المفهوم الدال على ما تقوم عليه كل منظومة عرفية اصطلاحية سماه المشارقة (الشفرة) متوسلين في ذلك بالدخيل المعرّب عن الانجليزية، وقال أهل المغرب (الكود) ومرجعهم في ذلك لغة الإفرنج. وعندما استدعى الفكر العربي الحديث من الثقافة الأجنبية المفهوم الدال على ما تقوم عليه كل منظومة عرفية اصطلاحية سماه المشارقة (الشفرة) متوسلين في ذلك بالدخيل المعرّب عن الانجليزية، وقال أهل المغرب (الكود) ومرجعهم في ذلك لغة الإفرنج، ثم حاول المغاربة وضع مصطلح عربي فقال بعضهم السَّنَن فلم يؤد اللفظ المقصود، فقال بعضهم الآخر (الراموز) بناءً على أنه شبكة متناهية من الرموز، ولكن اللفظ لم يعرف رواجاً"[1]، ويتصل بهذه الإشكالية الإشكالية التالية:

- **شذوذ المصطلح عن القياس:**

وشذوذ المصطلح في خروجه عن القياس اللغوي، وهذا الأمر يطرد عند المغاربة، فأبناء الجناح المغربي، كما يشير المسدّي أظهر جرأة على اللغة، فهم– في نسبتهم العامة وبحسب قوله–أكثر مسامحة مع اللغة،إلى الدرجة التي تتنافى وخاصية السلاسة، والتي تجعلك في حيرة عن وعي فعل البعض منهم ذلك أم هي الغفلة عن أسرار الأداء اللغة، لكن هذه المسامحة تسد خانة متحتمة، فهي عائدة إلى أنهم ينتصرون للاستعمال أكثر مما هم يتعلقون بالمعيار. هي، كما يرى، كثيراً ما تحقق وظيفة هامة في التداول هي الاستجابة السريعة لحاجات الاستعمال بما يسد الثغرة الإصلاحية بشكل عملي ناجز، رغم أنه يستنكر المبالغة في هذه المسامحة لأن فيها تخطي لعتبة الجمال في صياغة المصطلحات، وهو ما لا

(1) انظر: المسدي،د. عبد السلام، مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب،مرجع سابق

يأتي عند المشارقة إلا في سياقات نادرة، يقف المسدي على مظاهر لهذه المجاوزة. نجد المغاربة يأتون إلى الاسم المشتق من فعل، وهو على صيغة المصدر أو اسم المفعول، فيتخذون هذا الاسم أصلاً جديداً يشتقون منه فعلاً يدل على عملية إرضاخ الأشياء إلى ذلك المفهوم الحاصل في دلالة الاسم المشتق الأول، ويمثّل لذلك بلفظ (العولمة) فعندما بدأ هذا اللفظ يشيع قاومه بعض المفكرين المشارقة فاستبدلوا به لفظ (الكوكبية)، لأنه أفصح من الأول يعتمد قواعد القياس الاشتقاقي، ولكن بسبب رواج لفظ العولمة خفت صوت الاعتراض، وغلب ناموس الاستعمال قانون المعيار.وإذا عدنا إلى اللغة في مبدأ صفائها وجدنا اللفظ على غير قياس وذلك لورود هذه الواو اعتباطاً فليس من المأثور الاشتقاق على صيغة (فوعلة) وقد آثر اللغويون في المشرق - وفي مصر تخصيصاً - استبقاء اللفظ الدخيل (فونيم) على أن يقبلوا المصطلح المغاربي (صوتم) للعلة نفسها"[1].

- **غموض المصطلح:**

فالترجمة بالشكل الذي تتم به، تنزاح عن مركوزها، فلا تعد نتيجة لفعل معرفي جماعي، بل، تعبّر عن رغبة فردية تخضع لميول شخصية، وذلك ما يزيد المصطلح غموضا على غموض، فلا تعد تفي بالغرض العلمي الذي تهدفه[2]، فمن يتولون الترجمة ليسوا واحداً بل هم يتباينون فيما بينهم دقة وثقافة وتمكناً من اللغة، وكل منهم يترجم من واقع دربته وثقافته ومن مدى تبحّره في مضمار اللغة المترجم لها والمترجم عنها، لذا، فإن هذه الاختلافات ستترجم إلى نوع من الاضطراب والتشويش المصطلحي[3]، ناهيك عن الغموض الذي يتسرب إلى "المصطلح من الترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي دون بحث عن العبارة الموازية التي يمكن أن تعكس المعنى في اللغة العربية"[4].

(1)ا انظر: المسدي،د. عبد السلام، مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب

[2] بن مالك رشيد (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي)، مرجع سابق، ص 11.

[3] حسن، عثمان، المصطلح النقدي العربي يعيش فوضى: ترجمات مختلفة للمفهوم الواحد وتوظيفات متعددة في القراءات الأدبي، صحيفة الخليج الإماراتية، 20 أغسطس، 2018م،الرابط: https://www.alkhaleej.ae

(4) رقيق، سعاد، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر رؤى وتحولات، مرجع سابق،ص67.

والحق أن الكثير من باحثينا قد اتخذ من مقولة "إن مفاتٌح العلوم مصطلحاتها" نسيا منسيا وغدا يرفل في جحافل من المصطلحات المقابلة للمفاهيم والتيارات النقدية الغربية من غير فهم واضح أو دليل هاد فكثرت بذلك المصطلحات والترجمات للمفهوم الواحد مما زاد المفاهيم الغريبة غموضا على غموض[1].

-عدم إيجاد ما يكافئ المصطلح في اللّغة العربية وعدم توحيد استخدامه:

الدول الغربية هي المنتج الأول والأخير للمصطلحات، ولعل المشكلة الرئيسية بالنسبة للمترجم المتخصص هي: " في عدم إيجاد ما يكافئ المصطلح الغربي في اللّغة العربية، وفي حال وجد المصطلح المكافئ للمصطلح الأجنبي تبرز مشكلة أخرى تتمثل في عدم توحيد استخدامه"[2]. وهذا السبب وراء تصدّر مجموعة من النقاد والمترجمين لوضع المعاجم الخاصة بالمصطلح.

- **تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد:**

حيث نجد مجموعة من المصطلحات التي "تحمل مفاهيم مختلفة ومتعارضة بحسب النظرية أو المنهج الذي ينتمي إليه الدارس، مثل: مصطلح poétique. الذي يعني: البويطيقا، الشعرية، الشاعرية، الإنشائية، فن الشعر، نظرية الشعر، فن النظم، فن الإبداع الأدبي، علم الأدب، ومصطلح narratologies الذي يعني: السردية، السردانية، السرديات، علم السرد، علم القص، علم الحكي، علم الرواية، نظرية السرد، نظرية الرواية، نظرية القصة، نظرية الحكي...، حيث أصبح كلّ دارس أو كلّ ناقد يصوغ مصطلحا نقديا ويستعمله في كتاباته النقدية، فنجد عبد المالك مرتاض يستعمل مصطلحات غير المصطلحات التي يستعملها عبد السلام المسدي مثلا[3]. وإذن، هناك إشكالية تتصل بالانتقال من المفهوم

(1) بحه، فتحي، أزمة المصطلح النقدي المعاصر وهموم الناقد الجزائري في ظل تراكمية المصطلحات، مجلة القارئ للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية,2018, Volume 1, Numéro ، الجزائر، ص 1.

(2) انظر: بن عمار سعيدة خيرة، إشكالية الترجمة في علوم الإعلام و الاتصال بين المشارقة و المغاربة،مجلة الإشعاع، العدد الثالث، جوان، 2015م، ص 120.

(3) توام، عبدالله، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مرجع سابق، ص 23.

إلى المصطلح: فـ"مثلا نجد لمصطلح (L'ecart) الفرنسي عند جون كوهن عدة مقابلات : العدول عند عبد الله صولة، والبعد عند شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، والانزياح لدى عبد السلام المسدي ومحمد الولي"[1].

ويتكرر الأمر عند السعيد بوطاجين في توظيفه للمصطلحات، فهو لم يعطي تحديدا واحدا لكل مصطلح ومن بين هذه المصطلحات التي تناولها بالتحليل مصطلح (الأسلوبية)،فيوطاجين لم يعطيه تعريف محددا، وتبنى له تعريفات الآخرين من أمثال: (رفايتر)، و(غريماس)، وهذا يعود لتعدد المفاهيم التي طرحها النقاد ممن سبقوه. ويسري الأمر على مصطلحات أخرى تستحق الدراسة، نظرا لأهميتها في الساحة النقدية، كالتعريب، والترجمة [2].

- **إيثار المصطلح الغربي على المصطلح العربي:**

فنجد من الباحثين المغاربة من يتأثّر بالمصطلح الغربي ويؤثره على المصطلح العربي، ومن ذلك المصطلح البلاغي، فالجهود النقدية الجزائرية وإن كانت تتجه إلى تحديد وجمع المصطلحات التي يقوم عليها تأسيس المناهج النقدية الغربية الوافدة، فإنّ المصطلح البلاغي لم يلق العناية الكافية من قبل الدارسين العرب المحدثين رغم الحاجة الماسة إليه، وشاعت حملة تشكيك حول جدواه، حمل لواءها الذين شفوا غليلهم من ثقافة الغرب، بزعمهم أنّ القديم قد انقضى أمره، وأنّ الخير كلّه في الانفتاح على ما تجود به قرائح الغرب، والانتفاع به [3].

---

[1] الساوري، بو شعيب، إشكالية الانتقال من المفهوم إلى المصطلح، مرجع سابق، ص 19.

[2] انظر: شرابي، بسمة، معوش، خليدة، المصطلح النقدي عند السعيد بوطاجين في كتابه "الترجمة والمصطلح، شهادة الليسانس، المركز الجامعي آكلي محند أولحاج، الجزائر، 2011/ 2012م، ص 38، 39.

[3] انظر: عوف، فريد، إشكالية المصطلح البلاغي في الخطاب النقدي الجزائري- عبد الملك مرتاض أنموذجا-،مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 17،العدد3،السنة 2020م،ص.126

- **ترجمة المصطلح الواحد بأكثر من ترجمة:**

ومردّ ذلك غياب الدراسة المنظمة لعملية نقل المصطلحات وقلة التنسيق والتخطيط بني الأقطار العربية، فنتج عن ذلك ضعف سبب الترجمة في العلم العربي، وطغيان المزاجية والفردانية مما أدى إلى ترجمة المصطلح الواحد بأكثر من ترجمة، ومن ذلك المصطلح السيميائي، فنجد مصطلح السيميولوجيا (sémiologie) عند .."سعيد علوش"، و"عبد الملك مرتاض"، في حين نجد السيميائية (sémiotique) عند "عبد السلام المسدي"، و"رشيد بن مالك"، و"محمد مفتاح"[1].

وقد انتقلت السيميائية إلى الوطن العربي خلال الثمانينات، وقد تصدر لها مجموعة من الأسماء النقدية التي أسست لها في النقد العربي المعاصر ، منهم في الجناح المغربي: "محمد مفتاح"، و"عبد الفتاح كليطو"، و"محمد الماكري"، بالإضافة إلى "عبد الملك مرتاض"، و"عبد القادر فيدوح "بالجزائر. و قد تنازعت هؤلاء حيرة في ترجمة المصطلح شأنهم في استقبال كل جديد ، فحصل أن اشتغلوا على هاته المصطلحات في عزف منفرد، فإذا نحن أمام ركام اصطلاحي كبير. وتزداد أزمة المصطلح النقدي العربي الجزائري مع الجهاز الاصطلاحي المكثف والمعقد الذي تقدمه آليات القراءة السيميائية،. الظاهر أن هاته العدوى الاصطلاحية التي أصابت كثيرا من الكتابات النقدية العربية قد انتقلت إلى عدد من الكتابات النقدية الجزائرية المعاصرة عامة، وفي حقل السيميائيات خاصة، يحصي الدكتور "عبد الله بو خلخال" لهذا المفهوم ما يزيد عن عشرين(20) ترجمة، ومثله يفعل الدكتور "يوسف وغليسي"، الذي يذكر (ستا وثلاثين) ترجمة للتفريق بين مفهومي (Sémiotique)و(Sémiologie). (.[2].

---

[1] انظر: عبد الرزاق، د. حاجي إشكالية ترجمة المصطلح النّقدي العربّي: كتاب الترجمة والمصطلح ل " السعيد بوطاجين أنموذجا، مرجع سابق، ص 76.

(2) انظر: بحه، فتحي، أزمة المصطلح النقدي المعاصر وهموم الناقد الجزائري في ظل تراكمية المصطلحات، مرجع سابق، ص9.

وتبدو التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة مثقلة بهاته الفوضى المصطلحية، فقد استهل الدكتور"عبد القادر فيدوح "تجربته النقدية (السيميائية) في مطلع التسعينات بكتاب(دلائلية النص الأدبي) ، وتحته عنوان جانبي صغير "دراسة سيميائية للشعر الجزائري"، ويبدو فشل الكاتب في تنظيم جهازه المصطلحي منذ الوهلة الأولى، إذ يستعمل مصطلح (دلائلية وسيميولوجية)، والحق أن كلمة (دلائلية) هي المقابل الرئيس لكلمة (Sémiotique)، وتبدو الأمور بشكل أكثر تعقيدا ربما حينما نلفي الكاتب نفسه يستعمل مصطلحات أخراة (كالتأويلية، والسيميولوجية، والسيميوطيقية)، فيغدو عدد المصطلحات خمسة للدلالة على مفهوم واحد[1].

يستنكر يوسف وغليسي هذه الفوضى الاصطلاحية قائلا: "إذا كانت الدلالة اللغوية للاصطلاح هي الاتفاق، فمن المؤسف أن يتحول الاختلاف الاصطلاحي العربي الكبير إلى اصطلاح عربي على الاختلاف"[2].

- **وجود أكثر من مرادف للمصطلح:**

وجود مرادفات للمصطلح عدا أنه يسهم في فوضى المصطلح، فهو كذلك يفقد المصطلح نفسه قوته الاصطلاحية والتي استمدها من استيعابه للمفهوم ولملمة شتاته واختزاله في لفظه، يشير يوسف وغليسي أن " كثرة البدائل الاصطلاحية العربية المترادفة أمام المفهوم الأجنبي الواحد تعني ، من وجهة سلبية، تحول البديل الاصطلاحي إلى مجرد كلمة عادية منزوعة القوة الاصطلاحية"[3].

- تناول" بوطاجين"، في كتابه "الترجمة والمصطلح" العديد من المصطلحات التي تؤكد مرة أخرى الفجوة والخلط في قضية المصطلح، حيث قام بتصنيف هذه المصطلحات في

(1) بحه، فتحي، أزمة المصطلح النقدي المعاصر وهموم الناقد الجزائري في ظل تراكمية المصطلحات ، ص 9.

(2) وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، مرجع سابق، 511.

(3) المرجع نفسه، ص 511

جداول. والملاحظ على هذا التصنيف أن كل مصطلح له على الأقل مرادفين أو أكثر في اللغة العربية[1].

- **تزاحم عدة مصطلحات للمفهوم الواحد:**

أسس عبد الملك مرتاض إلى جانب عبد الحميد بورايو، دليلة مرسلي، نجاة خدة، كريستيان عاشور، حسين خمري، رشيد بن مالك، شايف عكاشة، وإبراهيم رماني للفكر البنيوي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، وقدموا مجموعة من الدراسات، كل من هاته الدراسات اعتمدت جهازا مصطلحيا خاصا انفردت به عن غيرها، فترجمت إذ ذاك مصطلحات العلم الجديد بمختلف الترجمات التي تخدم الخلفيات والمرجعيات المختلفة لكل كاتب، وهو ما يوقع دارس المنهج البنيوي في حيرة من أمره حينما يقف على الكم الهائل من المصطلحات المترجمة، ومدى دقتها ووفائها بالمعنى الأصلي"، هذه حقيقة تجعل العلم الجديد أكثر تعقيدا من كونه أداة كاشفة لطلاسم النصوص الأدبية، وبعض جوانبها الخفية التي تتطلب منهجا لسبرها [2].

ويمكننا أن نمثل لهذه الإشكالية المصطلحية التي تتصل بوجود أشكال اصطلاحية تلتقي عند مفهوم واحد بمصطلح المونولوج مثلا: حيث نجده يعني :المناجاة، ويعني الحوار الذاتي، الحوار الباطني، الحوار الداخلي،الحوار النفس،..[3].

نلحظ تعدد لترجمات للمفهوم الأجنبي الواحد تعددا يفوق التوقع، وليس أدل على ذلك من ترجمة مصطلحا (paradigmatiqu) و(syntagmatique) بما لا يقل عن أربعين مصطلحا.. ما يعكس الإسهال الحاد الذي كابده الخطاب النقدي العربي في تلقيه للمفاهيم الغربية بكيفيات فردية مشتتة تعوزها روح الانسجام والتنسيق والاصطلاح، مع جهل

(1) عبد الرزاق، حاجي، إشكالية ترجمة المصطلح النّقدي العربّي: كتاب الترجمة والمصطلح ل " السعيد بو طاجين " أنموذجا، مرجع سابق، ص 88.

(2) انظر: بحه، فتحي، أزمة المصطلح النقدي المعاصر وهموم الناقد الجزائري في ظل تراكمية المصطلحات، مرجع سابق، ص

[3] توام، عبدالله، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مرجع سابق، ص 23.

الجهود الفردية بعضها ببعض، وفي الحالة العكسية غالبا ما يكون الانتصار للأنا الفردي أو القبيلة اللغوية هو سيد الموقف، حيث يتعصب المغربي مثلا للدليل والدلائلية...، ويتعصب التونسي للهيكليّة والإنشائية...[1].

- **مخالفة الشائع:**

يقترح عبد الملك مرتاض مصطلح التناصية بدلا من التناص، والسيمائية بدلا من السيميائية، والتداول بدلا من التداولية، والبنوية بدلا من البنيوية، والتقويض بدلا من التفكيكية. وهذه المصطلحات مخالفة لما هو شائع من حيث الصياغة، لكنها لا تحمل معنى أقوى، فكلمة التناص لها دلالة كافية لكل أشكال الأخذ من الآخر، فهي صيغة صرفية على وزن (تفاعل)، وهذه الصيغة تدل على الاشتراك وتزاحم النصوص، وبذلك فهي ليست في حاجة إلى إلحاق ياء النسبة(تناصية)،كما أن كلمة (التفكيك) أنسب من (التقويض)،لأن الأولى تعني(فصل أجزاء النص) ثم (إعادة البناء)،أما الثانية فهي تعني الهدم هدما شديدا)[2].

- **تداخل المصطلح:**

هناك جملة من المصطلحات النقدية التي تتداخل فيما بينها وتنسج فيما بينها مجموعة من العلائق، فلا تفكّ رموزها إلاّ بالفهم الواسع، إذ يختلط فهم استعمالها ودلالاتها وأصولها الحقيقية ومرجعياتها وحمولاتها المعرفية[3]. فنجد مثلا أن هناك تداخلا واضحا وتشابكا بين مصطلحات عديدة مقابل المصطلح الأصل "Structuralisme"، بالإضافة إلى انزياح بعض المصطلحات البديلة عن المفهوم الأصلي للمصطلح، وهو الأمر الذي يوقع القارئ أو الباحث في التباس ، مثلما حصل مع مصطلح (الهيكلية)، الذي يشيع في عدد لا بأس به من الكتابات التونسية عموما، يبتعد إلى حد كبير عن مصطلح "البنيوية"، إذ الهيكل

---

[1] وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، مرجع سابق،ص510.

[2] عوف،فريد، إشكالية المصطلح البلاغي في الخطاب النقدي الجزائري- عبد الملك مرتاض أنموذجا-،مرجع سابق،ص128.

[3] انظر: توام، عبد الله، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مرجع سابق، ص 24، 25.

أو الهيكلية لا يتعدى مفهومهما الإطار الخارجي للشكل، عكس البنيوية الذي ينصرف مفهومها في كيفية انتظام عناصره، بحيث لا يفسر الجزء إلا في إطار الكل، عدا أنه يدل على الديمومة والحركية بخلاف الهيكلية أو الهيكل الذي يتميز بالجمود والثبات واللاحركية [1].

- **انغلاق المصطلح:**

هناك صراع بين رواد النقد مرده وجوهر العلة فيه المصطلح النقدي، إذ يرى بعضهم في النص النقدي الحديث وبما جدّ فيه من مفاهيم تأسيسية وإجرائية نصا مستغلقا، وسيبدو له النص، حينما يستعمل الناقد الحديث في السياق الواحد من المصطلحات العصرية: كالاقتران المزدوج، والتمظهر، والتناص... كالحديقة المزروعة بالشائكات أو كالطريق المرصود بالنتوءات، ويشتد هذا الاعتراض عندما يؤثر الناقد المصطلحات المعرّبة كالمورفولوجيا، والأنطولوجيا،.. ويبلغ الانفصام ذروته إذا انساق به الحديث إلى التكنيك، والتيمات، وسيميائية المقام، ولن يكون الأمر أخفّ وطأة إذا كان الناقد ممن يستسيغون آلية النحت، فاستعمل السوسيوبنائي، والنفسبنيوي، والزمكاني،.. إن أول ما يتوجب صنعه لإفساح فضاء التواصل هو فضّ الإشكالات المتولّدة من الملابسات المصطلحية[2].

- **عدم استيفاء المصطلح للمعنى المراد:**

يجمع عبد الملك مرتاض على أن كل الأسماء النقدية الغربية الوافدة تضمنتها البالغة العربية تحت أسماء مختلفة كالانزياح تحت اسم العدول، والتداولية تحت اسم معنى المعنى، والأسلوبية تحت اسم البديع، والواقع أن البدائل التي اقترحها لا تستوفي المعنى

---

[1] انظر: لعور، إيمان، وبو السليو، نبيل، إشكالية المصطلح البنيوي في النقد العربي المعاصر – وقفة مع مقاربة الناقد "يوسف وغليسي"،مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة، الجزائر، المجلد 36، العدد1، السنة 2022م، ص599، 600.

[2] المسدي، عبد السلام، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر، تونس، 1994م، ص 124، 125.

المراد بالمصطلح النقدي الحديث، فمعنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني غير التداولية، والانزياح غير العدول، والأسلوبية غير البديع عند أبي هلال العسكري[1].

يرى المسدي في الاصطراع المصطلحي الذي تشهده اللغة في أي فترة من فترات حياتها علامة صحية يدلل على أن تلك اللغة – ومعها أهلها- واقعة في خضم احتكاك الحضارات تواجه بقدم راسخة حوار الثقافات في أعمق مدلولاته"[2].

الآليات الاصطلاحية في ضبط المصطلح في النقد المغاربي

لما كان للمصطلحات هذه الأهمية ونظرا لما يشهده العالم من توالد سريع للمصطلحات في جميع المجالات و بجميع اللغات، كان لزاما على اللغة العربية أن تدرك جدية المسألة، و توجب على أهلها تدبر الأمر بإيجاد آليات مناسبة لوضع مقابلات لما يتهاطل من مصطلحات أجنبية، ومن هنا فقد وظفت جملة من الآليات الاصطلاحية[3] لوضع المقابل المصطلحي .

والحال كذلك عند تعامل النقاد والباحثين المغاربة مع المصلحات النقدية الأجنبية، فقد وظفوا العديد من التقنيات والآليات- الاشتقاق والنحت والتعريب والإحياء- لتوليد المصطلحات وضبطها، فاعتمد بعضهم إحداها أو عدد منها، ومنهم من وظفها بجملتها، على نحو ما نجد عن عبد الملك مرتاض.

اعتمد الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض آليات الاصطلاح المعروفة، في بلورة وتأسيس منهجه النقدي المستند على عامل التراث والحداثة، وهي: التعريب: ومن المصطلحات التي عرّبها نجد مصطلحات التقاين (Icone)، والبويتيك (Poétique) ،وايزوطوبية (Isotopie) ، والغراماطولوجيا (Grammatologie)، والبروكسيميكا (Proxémique). والاشتقاق: وركز فيه على أهم مصدر اشتقاقي (المصدر الصناعي)، في

(1) عوف،فريد، إشكالية المصطلح البلاغي في الخطاب النقدي الجزائري- عبد الملك مرتاض أنموذجا-، مرجع سابق، ص128.

(2) المسدي، عبد السلام، المصطلح النقدي، المرجع السابق، ص 13.

(3) رقيق، سعاد، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر رؤى وتحولات، مرجع سابق ، ص 56.

صياغة مصطلحات: البنوية والبنيوية والشعرية. النحت: الذي ركن إليه في ترجمة عدد من المصطلحات، منها : الركبرة (المنحوتة من: ركب وعبّر)= (Syntagme)، والجدلغة (المنحوتة من فعل واسم!: جدّد ولغة)=(Néologisme)، والبدعدة (المنحوتة من بدأ وعاد)=(Récurrence) .الإحياء: حين أوجد الكثير من المصطلحات النقدية التراثية من مثل: أدبية الشعر، والماء الشعري .الترجمة: فنجده، مثلا، يترجم المصطلح الأجنبي(Espace) بمصطلح الحيّز، والذي ولّد منه مصطلحات جديدة، وهي: التحييز، التحايز، الحيززة [1].

ومثل مرتاض اعتمد مجموعة من السرديين الجامعيين التونسيين- شكلوا فيما بينهم وحدة الدراسات السردية تابعة لكلّية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، وتنادوا لوضع معجم موسوعي للسرديات- على آليات: الترجمة، والتعريب، والنحت، فعمدوا إلى ترجمة اللفظ البسيط بما يقابله في اللسان العربي، وفي حالة كان مركبا عمدوا إلى تفكيك المصطلح الأجنبي المركب وأتوا بما يقابله، حالهم مع مصطلح(Homodiégétiqu) المركب من ألفاظ ثلاثة هي: (Homo)، (Diégèse)، (que)، ومتى ما تعذّرت ترجمته وقع الاعتياض التعريب، وتوسلوا كذلك بآلية النحت مع ما تقتضيه هذه الآلية من حذف حتى يتم تركيب اللفظ بما لا ينبو عن الذوق ولا يمس من الدلالة، فعمدوا إلى عبارات من قبيل" سيرذاتيّ " ترجمة ل(Autobiographique) باعتبار هذا اللفظ أصبح متداولا بين الألسن بعد أن مهد له لفظ. "الترجذاتيّ " الطريق [2]، لكن عبد السلام المسدي يعترض على ذلك بقوله: "كيف يغفل بعض أساطين الجامعة في تونس من رواد النقد المقارن عن أيسر قواعد الانسياب الأدائي فيعمد إلى صياغة مصطلح (الترجذاتي) أو (السيرذاتي) فقط لمجرد استحداث مصطلح يؤدي دلالة "الأوتوبيوغرفي"، ومثلها مصطلحات: اللازمان، واللامكان، واللامرئي،

[1] انظر: نمرة، محمد، المصطلح النقدي عند عبد الملك مرتاض ، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد 5، العدد9، مارس 2017م، ص29، 42.

[2] انظر: السماوي، أحمد، شهادة في وضع المصطلح، جامعة قاصدي مرباح– ورقلة–الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي يومي 9، 10، مارس، 2011م، ص32، 34.

والتاريخانية، وتصادف أيضاً السوسيو–بنائي، والنفسبنيوي، والتحلينفسي، وكذلك الزمكاني [1]

في الواقع، النحت ولئن عد من الوسائل التي تنمو بها لغتنا فإننا نعتبر أنه سمة نوعية من سمات اللغات الانضمامية كلغات الأسرة اللاتينية والجرمانية والأنجلوسكسونية، هو في العربية حدثا عارضا ، وتكيفا طارئا على جهازها، ولقد لجأت إليه العرب في حالات محددة ، فالمتتبع لتاريخ اللغة العربية يدرك كيف كان أمر احتضان اللفظ الأعجمي أهون على العرب من اللجوء إلى النحت، لأنه يؤدي إلى شذوذ في الأوزان أو عجمة في ترتيب الأصوات وتوزيع المقاطع، يرى فيه المسدي آلية غريبة عن اللغة العربية، ويؤكد أن منافاته للسليقة العربية ليس حكما ارتساميا، ولا هو اتكاء على مجرد الذوق، وإنما هو احتكام إلى نواميس اللغة الضابطة لها من الداخل[2]. والمتتبع للمنظومة الاصطلاحية يلحظ تساهلا في توظيفة في النقد المغاربي، كما أشرنا في موضع سابق من هذا البحث

اللغة العربية بفضل آليتها الاشتقاقية متضافرة مع قدرتها على استيعاب اللفظ الدخيل بعد قولبته، وطاقتها في تريد الأسماء الاصطلاحية وسكبها في قالب المصدر الصناعي، تقدم لنا خير دليل على أنها لغة حيّة على الدوام، لا يستعصي عليها توليد الرشيق من الألفاظ للإفصاح عن أدق المفاهيم.. فاللسان العربي يقدم اليوم أنموذجا فريدا بين الألسنة البشرية .. في توفير آليات توليد المصطلح في غير تعسف ولا انسلاخ[3].

اقتراحات النقاد المغاربة لحل أزمة المصطلح:

هناك العديد من الطروحات والاقتراحات التي تقدم بها عدد من الباحثين والنقاد والمهتمين بقضايا المصطلح، وهي في مجملها تسعى لاجتراح الحلول التي تنهي أزمة المصطلح، وما يترتب عليها من فوضى تربك الدارسين ورواد النقد، وبالتالي اضطراب النقد العربي.

---

[1] انظر: المسدي، عبد السلام، مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب، مرجع سابق

(2) انظر: المسدي، عبد السلام، المصطلح النقدي، مرجع سابق، ص25، 28.

(3) المرجع نفسه، ص 132

ترى آمنة بلعلي أن حل الإشكال يكمن بالاستئناف، بأن نستأنف تراثنا ونعاين لغته الواصفة بطريقة علمية منهجية، ونستفيد من مصطلحات هذه اللغة، وتى كذلك أن الحل مرتبط بسياسات الدول العربية ونظام التعليم، فالمجامع والمؤسسات استشارية لا تستطيع فرض مخرجاتها، وترى أن من الحلول أن نفكر بإيجاد علم عن المصطلح بدلا من التفكير بالمصطلحات كمشكل.

ويدعو فتحي بحه إلى توحيد الجهاز المصطلحي بالقول: "وفي ظل هاته الأزمة المصطلحية الحادة ندعو كل النشطين في هذا الميدان البحثي الفسيح للإدلاء بدورهم في فك عزلة النقد العربي للنهوض به من أزمته هاته من خلال الاتفاق على عدد من الآليات التي تمكنهم من توحيد المفاهيم والمصطلحات"[1].

ويجد عبد القادر رسول أن الحل اللازم لأزمة المصطلح أمام هذه الفوضى الكبيرة التي يشهدها هو تبني التعريب في مختلف القطاعات، واستثمار اللغة العربية في التدريس والطب، وتعميمها كلغة وطنية معتمدة لكافة النشاطات العربية، وانضواء كافة جهود التعريب تحت مظلة مؤسسة مصطلحية موحدة ذلك تعنى بتتبع المصطلح العلمي وترجمته حال ظهور مفهومه، تكون قراراتها ملزمة لكافة الدول العربية من خلال مؤسسات فرعية تتبع لها، بشرط توفر الإرادة السياسية الحقيقية لذلك، على أن تعمد الدول المنظمة على نشر قراراتها للمختصين والمترجمين وغيرهم من مستعملي اللغة[2].

في حين ترى سعاد رقيق أنه قد يكتب للمصطلحات النقدية الاستقرار إذا توافرت فيها عناصر منها: التعبير اللغوي الدقيق، بعده عن اللبس والغموض، قدرته على الديمومة

(1) بحه، فتحي، أزمة المصطلح النقدي المعاصر وهموم الناقد الجزائري في ظل تراكمية المصطلحات، مرجع سابق، ص 15.

(2) عبد القادر رسول، أزمة ترجمة المصطلح العلمي إلى العربية بين الوضع والاستعمال، Volume 1, Numéro 1,2018، ص 152، 153.

والبقاء، إضافة على إجماع أهل اللغة على اصطلاحه. أما إذا اختلت هذه الشروط فلا يعد مصطلحا نقديا وإنما ابتداعا ذاتيا[1].

على ما يبدو أن المشكلة ليست في عدم وجود مقترحات لحل الإشكالية، فالمقترحات السابقة، التي يقدمها النقاد، في الجناح المغاربي وحده، مما ذكر ومما لم يسع المجال لذكره، كفيلة بالحد من أزمة المصطلح، وإنما في تبني مثل هذه المقترحات وتنفيذها على المستوى التطبيقي، ومن مؤسسات نافذة تملك القرار.

خاتمة: تناول البحث أزمة المصطلح في بيئته المغاربية، مسعترضا نشأة هذه الأزمة، وأسابها وتمظهراتها التطبيقية، وآليات صوغ المصطلح والمقترحات المقدمة، ليخلص إلى تأكيد وجود أزمة حقيقية على المستوى الاصطلاحي في النقد المغاربي، فهذا الاهتمام الكبير بقضايا المصطلح من كبار النقاد والباحثين من أمثال: رشيد بن مالك، وعبد الملك مرتاض، وسعيد علوش، ويوسف وغليسي، والسعيد بوطاجين، وعبد السلام المسدي وغيرهم، في النقد المغربي، وكثرة الدراسات التي جعلته موضوعا وعنوانا رئيسا لها يدلل على ذلك.

والبحث في تناوله لقضية المصطلح في النقد المغاربي على وجه الخصوص إنما هدف إلى تسليط الضوء على مشكلة المصطلح في بيئتها الحاضنة الأولى، البيئة المغاربية، بحكم اتصالها المبكر بالغرب ومناهجه الحداثية. مع الانتباه إلى أن أزمة المصطلح النقدي المغاربي، هي صورة عن أزمة المصطلح النقدي العربي، وأن البحث فيها واجتراح الحلول لها سيسهم في اجتراح الحلول لمشكلة المصطلح عربيا.

نستطيع القول بأن من الصعب اجتراح الحلول التي تنهي أزمة المصطلح بشكل نهائي، ولكن، وبلا شك، أن الاهتمام الكبير، والتنسيق الجماعي، على مستوى المؤسسات العلمية المتخصصة والرسمية، سيحد إلى درجة كبيرة من هذه الأزمة. وعليه، يدعو الباحث إلى تسليط مزيد من الضوء على هذه الإشكالية، والتركيز على جوانب الحل ونقاط الالتقاء واقتراح الحلول الناجعة في هذا المضمار.

---

(1)رقيق،سعاد، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر رؤى وتحولات، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس-سيدي بلعباس،الجزائر، 2015/ 2016م،ص66.